مُخْتَصَرُ الإِجَابَةُ

فِي السُّؤَالِ عَنِ الصُّحْبَةِ وَالصَّحَابَة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ عَايِدْ المِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شَريكَ له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرِّسالة، ونصح الأمَّة، وجاء خير بشير ونذير، صلى الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطَّاهرين، وصحابته الغرِّ المحجَّلين، وعلى من سلك طريقهم، واتبع هُداهم إلى يوم الدِّين، قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**﴿آل عمران : ١٠٢﴾ ، وقال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾**﴿النساء:١﴾ ، وقال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾**﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾ ، أمَّا بعد :

فإنَّ معرفة الصَّحابة أصل لا يُستغنى عنه في معرفة الإسلام، فهم الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيّه صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكانوا أئمة الهدى وحجج الدِّين، ونقلة الكتاب والسُّنَّة.

ولذلك لا غرو أن نجد علماء الأمَّة قد نصُّوا على عدالتهم، لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع من يعتدّ به في الإجماع من الأمَّة.

ونظراً لما خصَّهم الله به من مشاهدة التَّنزيل، والجلوس بين يدي الرَّسول صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيام البناء على أكتافهم، وبذلهم الغالي والنَّفيس من أجله، فقد قامت عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة على حبِّهم، والتَّرضِّي عنهم، والنَّهي عن الطَّعن فيهم، والكفّ عمَّا شجر بينهم.

قال عبد الرَّحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ) : " فأمَّا أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم الذين شهدوا الوحي والتَّنزيل ، وعرفوا التَّفسير والتَّأويل ، وهم الذين اختارهم الله عزَّ وجلَّ لصحبة نبيّه صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرته ، وإقامة دينه وإظهار حقّه ، فرضيهم له صحابة ، وجعلهم لنا أعلاماً

وقدوة ، فحفظوا عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلَّغهم عن الله عزَّ وجلَّ ، وما سنَّ وشرع ، وحكم وقضى وندب ، وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدِّين ، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده - بمعاينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله ، وتلقّفهم منه واستنباطهم عنه، فشرَّفهم الله عزَّ وجلَّ بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إيَّاهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشَّكَّ والكذب ، والغلط والرِّيبة والغمز ، وسمَّاهم عدول الأمَّة ، فقال عزَّ ذكره في محكم كتابه : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾** ، ففسَّر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله عز ذكره قوله (وسطا) قال: عدلا.

فكانوا عدول الأمَّة ، وأئمَّة الهدى وحجج الدِّين ونقلة الكتاب والسُّنَّة.

وندب الله عزَّ وجل إلى التَّمسُّك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسُّلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم، فقال: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِين نُوَلِّهِ مَا تَوَلّى﴾**

﴿النساء:١١٥﴾ . انظر: الجرح والتعديل (ابن أبي حاتم ، دار إحياء التراث، بيروت) ١ / ٧.

ولما لهذا البحث من أهمية، وجدنا جُلّ كتب العقيدة تذكره، وتبين أن واجب الأمة نحو الصَّحابة الكرام، إنما هو حبهم، وتزكيتهم، والثناء عليهم جميعاً، وترك الإفراط في محبة بعضهم على وجه يقضي إلى عداوة آخرين منهم، فقد امتدحهم الله تعالى في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: (يَومَ لا يخزى الله النَّبي والذَّينَ ءامَنُوا مَعَهُ نُورُهُم يَسعَى بَينَ أيدِيهِم وَبأيديهم) (التحريم: ٨).

ومع هذا -وللأسف- فقد ابتلي الإسلام حديثاً، كما ابتلي قديماً، فوجد من أبناء المسلمين، من يطعن في الصحابة، وينال منهم، ويحكم بكفرهم إلا نفراً يسيراً منهم ...

ولأجل الإحاطة بالإطار العام لاعتقاد أهل السُّنَّة في الصَّحابة الكرام، فقد جاء الموضوع عبر مبحثين اثنين، هما:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : التَّعْريْفُ بِالصَّحَابَةِ الكِرَام رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم ، وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب، هي:

المَطْلَب الأَوَّلُ : مَعْنَى الصَّحَابِي لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً.

المَطْلَبُ الثَّانِي : ضَوَابِطُ مَعْرِفَة الصُّحْبَة.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : طَبَقَاتُ الصَّحَابَة

المَطْلَبُ الرَّابِعُ : عَدَدُ الصَّحَابَـــــــــة.

المَبْحَثُ الثَّانِي : عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَة ، وقد جاء هذا المبحث ضمن المطالب التَّالية:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : فَضْلُ الصَّحَابَةِ وَتَفَاضُلُهُم.

المَطْلَبُ الثَّانِي : مَحَبَّتُهُم.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : عَدَالَتُهُم.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ : الكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم.

المَطْلَبُ الخَامِسُ : التَّحْذِيْرُ مِنَ الطَّعْنِ فِيْهِم.

المَطْلَبُ السَّادِسُ : حُكْمُ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَة .

والله تعالى أسأل أن يرزقنا سُبُل الهُدى ، وأن يُجنِّبنا موارد الهوى والرَّدى ، وسُبُل الغواية والعَمى ، ونسأله تعالى أن يعلِّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علَّمنا ، وأن يزيدنا علماً ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، في السرِّ والعلن ، إنَّه أهل ذلك والقادرُ عليه ...

وَسُبْحَـــــــانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـــــهَ إِلَّا أَنْتَ

نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ

وَالحَمْدُ لله رَبِّ

العَالَمِيْن

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

التَّعْرِيْفُ بِالصَّحَابَةِ الكِرَام رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم

وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب، هي:

المَطلَبُ الأَوَّلُ

مَعْنَى الصَّحَابِي لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً

قال الفيروزآبادي: "صحبه – يصحبه، صُحْبة –بالضَّم– وصَحابة –بالفتح–، وصِحابة –بالكسر– عن الفرَّاء، وجمع الصَّاحب: صَحْب، كراكب وركْب، وصُحبة، كفارهٍ وفُرْهة، وصِحاب، كجائع وجياع، وصُحبان –بالضَّم– كشاب وشُبَّان.

والأصحاب: جمع صَحْب، كفرخ وأفراخ. والصَّحابة: الأصحاب. وهو في الأصل مصدر. وجمع الأصحاب: أصاحيب" . انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (الفيروز آبادي ، المكتبة العلمية، بيروت، بلا) ٣/ ٣٨٦.

والصُّحبة مشتقَّة من الفعل صحب، وهو أصل في اللغة يدلُّ على مقارنة الشَّيء ومقاربته .انظر: معجم مقاييس اللغة (ابن فارس ، دار الفكر، بيروت، بلا) ٣/ ٣٣٥.

والصَّاحب: الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن يكون مصاحبته بالبدن –وهو الأكثر– أو بالعناية والهمَّة. انظر: بصائر ذوي التمييز ٣/ ٣٨٦.

قال الخطيب البغدادي: " حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهَّ الْمَالِكِيُّ ، أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الطِّيبِ ، قَالَ: «لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي أَنَّ الْقَوْلَ» صَحَابِيٌّ" مُشْتَقٌّ مِنَ الصُّحْبَةِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُشْتَقٍّ مِنْ قَدْرٍ مِنْهَا مَخْصُوصٍ ، بَلْ هُوَ جَارٍ عَلَى كُلِّ مَنْ صَحِبَ غَيْرَهُ ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا ، كَمَا أَنَّ الْقَوْلَ مُكَلِّمٌ وَمُخَاطِبٌ ، وَضَارِبٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمُكَالَمَةِ ، وَالْمُخَاطَبَةِ وَالضَّرْبِ وَجَارٍ عَلَى كُلِّ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَقَّةِ مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ: صَحِبْتُ فُلَانًا حَوْلًا وَدَهْرًا وَسَنَةً وَشَهْرًا وَيَوْمًا وَسَاعَةً ، فَيُوقَعُ اسْمُ الْمُصَاحَبَةِ بِقَلِيلِ مَا يَقَعُ مِنْهَا وَكَثِيرِهِ ، وَذَلِكَ يُوجِبُ فِي حُكْمِ اللُّغَةِ إِجْرَاءَ هَذَا عَلَى مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ

نَهَارٍ ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي اشْتِقَاقِ الِاسْمِ" .انظر: الكفاية في علم الرواية (الخطيب البغدادي ، بيروت، ط١، ١٩٨٨م) ص٥١.

أمَّا في الاصطلاح، فقد تعدَّدت أقوال العلماء في تعريف الصَّحابي، قال الحافظ ابن حجر: "وأصحُّ ما وقفت عليه من ذلك أنَّ الصَّحابي من لقي النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على الإسلام ؛ فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى" . انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة (ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م) ١/ ١٥٨.

قال الحافظ: "وهذا التَّعريف مبني على الأصحِّ المختار عند المحقِّقين كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل، ومن معهما" . انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة ١/ ١٥٩.

والنَّاظر في التَّعريف يرى أنَّه يخرج بقوله: "لقي النَّبي": من لم يلقه أصلاً فليس بصحابي. وبقيد الإيمان يخرج من لقيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يؤمن به كيهود المدينة ومشركي مكَّة. وبقوله: "مات على الإسلام" يخرج من آمن به في حياته ثمَّ ارتدَّ عن الإسلام ومات على الكفر، كعبد الله بن خطل، وربيعة بن أميَّة بن خلف، وغيرهم ممَّن ارتدَّ عن الإسلام. أمَّا من ارتدَّ ثمَّ عاد للإسلام فهو صحابي، وإن لم ير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّة أخرى.

ويخرج بالتَّعريف أيضاً: من رأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ميِّت: فليس بصحابي، وكذا من رآه وهو دون سنّ التَّمييز، إذ من لم يميِّز لا تصحُّ نسبة الرُّؤية إليه. انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة ١/ ١٥٩.

والنَّاظر في التَّعريف – أيضاً– يجد أنَّه لم يشترط لنيل الصُّحبة وقتاً ما، ولا عملاً ما، فمن لقي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساعة واحدة فهو صحابي، وبهذا قال علي بن المديني على ما نقله عنه الحافظ في الفتح . انظر: فتح الباري ٧/ ٥.

وهناك من العلماء من اشترط لنيل الصُّحبة أن يكون قد صحب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامين، أو غزا معه غزوتين، أو طالت مجالسته، أو حفظت روايته ... وقد وصف الحافظ ابن حجر العسقلاني هذه الشُّروط بأنَّها من الشُّذوذ . انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة ١/ ١٥٩.

المَطْلَبُ الثَّانِي

ضَوَابِطُ مَعْرِفَةِ الصُّحْبَة

وضع العلماء مجموعة من الضَّوابط التي من خلالها تُعرف الصُّحبة، منها :

(١) التَّواتر: بأن يُنقل أمر الصُّحبة عن عدد كثير من الصَّحابة الكرام ، كصحبة الخلفاء الرَّاشدين، وبقيَّة العشرة المبشَّرين بالجنَّة، رضوان الله عليهم. انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة ١/ ١٦٠، نزهة النظر، ص١٠١-١-٢، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (ابن كثير ، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا) ص١٠٩.

(٢) الشُّهرة والاستفاضة: وهي الشُّهرة التي لم تصل حدَّ التَّواتر، كصحبة عكاشة بن محصن . انظر ترجمة عكاشة بن محصن في: أسد الغابة في معرفة الصَّحابة (ابن الأثير، ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م) ٣/ ٢٦٨ برقم ٣٧٣٨ .

(٣) قول صحابي معروف الصُّحبة بصحبة آخر، كشهادة أبي موسى الأشعري لحممة الدَّوسي بالصُّحبة . انظر: ترجمة حممة الدوسي في: أسد الغابة، ٢/ ٥٦٥٦ برقم ١٢٦١، الإصابة ٢/ ١٠٨ برقم ١٨٣٧.

(٤) أن يروى عن أحد من التَّابعين الثِّقات أنَّ فلاناً له صحبة، بناء على قبول التَّزكية من واحد.

(٥) أن يخبر عن نفسه بأنَّه صحابي، وذلك بشرطين:

الأوَّل: أن يكون معلوم العدالة.

الثَّاني: أن يكون بعد ثبوت معاصرته للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد انتهى معاصرو النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمضي مائة سنة أو مائة سنة وعشر سنين بعد هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وذلك للحديث الذي رواه البخاري (بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٩٩٦م) ص٢٧، كتاب العلم، باب السمر في العلم، برقم ١١٦، مسلم (بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٩٩٦م) ص١٠٢٥، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم) برقم ٢٥٣٧، مرفوعاً: "أرايتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد".

ولهذا الضَّابط في معنى المعاصرة لم يصدق الأئمَّة أحداً ممَّن ادَّعى النُّبوَّة بعد المدَّة المذكورة، وقد ادَّعاها من لا خلاق له، مثل: رتَنْ الهندي (٦٣٢هـ) ، وهو دجَّال كذَّاب... انظر: ترجمة رتن الهندي في: لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م) ١/ ٥١-٥٢٢ .

المَطلَبُ الثَّالِثُ

طَبَقَاتُ الصَّحَابَة

الطَّبقة في اللغة تعني القوم المتشابهين، وطبقات الصَّحابة تعني تلك الحقب الزَّمنيَّة التي اشتملت على أحداث معيَّنة، كمن أسلم من أوائل الصَّحابة، مهاجرة الحبشة، أهل بدر ... انظر: معرفة علوم الحديث (الحاكم ، بلا) ص٢٢-٢٤.

والطَّبقات هي:

(١) قوم أسلموا بمكَّة، كالخلفاء الأربعة.

(٢) أصحاب دار النَّدوة، الذين اجتمعوا في دار النَّدوة لمبايعة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أسلـم عمر رضي الله عنه .

(٣) مهاجرة الحبشة، ومنهم: جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه.

(٤) أصحاب العقبة الأولى، ومنهم: عبادة بن الصامت، رضي الله عنه .

(٥) أصحاب العقبة الثانية، وأكثرهم من الأنصار، رضي الله عنهم .

(٦) أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بقباء، قبل أن يدخل المدينة.

(٧) أهل بدر ، رضي الله عنهم .

(٨) الذين هاجروا بين بدر والحديبية، ومنهم: المغيرة بن شعبة ، رضي الله عنه.

(٩) أهل بيعة الرِّضوان، ومنهم: سلمة بن الأكوع ، رضي الله عنه.

(١٠) من هاجر بين الحديبية وفتح مكة، ومنهم: خالد بن الوليد ، رضي الله عنه.

(١١) الذين أسلموا يوم فتح مكة، ومنهم: أبو سفيان بن حرب ، رضي الله عنه.

(١٢) صبيان وأطفال رأوا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح وفي حجَّة الوداع وغيرها، ومنهم: السَّائب بن زيد ، رضي الله عنه.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ

عَدَدُ الصَّحَابَـــــــة

ليس من اليسير الوقوف على عدد الصَّحابة الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين– وما ذلك إلَّا بسبب عدم وجود النَّقل الصَّحيح المحدِّد لعددهم، وذلك لتفرُّقهم في الأمصار والبوادي والقرى. وما ورد في ذلك ليس إلَّا من قبيل الاجتهاد فقط.

وقد وقفت من خلال البحث على العديد من الرِّوايات والأقوال التي تطرَّقت إلى عددهم في بعض المناسبات، وكذا التَّقديرات التي قدَّرها بعضهم، إجمالاً أو تفصيلاً، من ذلك:

روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: ... وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ .أخرجه البخاري ص٨٣٤، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، برقم ٤٤١٨.

وجاء في رواية مسلم : قَالَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ : وَغَزَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاسٍ كَثِيرٍ يَزِيدُونَ عَلَى عَشَرَةِ آلَافٍ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ دِيوَانُ حَافِظٍ" . أخرجه مسلم ص١١١٢، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، برقم ٢٧٦٩.

وروى البخاري أيضاً بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ المَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ ..." . أخرجه البخاري ص٨٠٨، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، برقم ٤٢٧٦.

وذكر ابن الصَّلاح في مقدِّمته عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ عِدَّةِ مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: وَمَنْ يَضْبِطُ هَذَا؟ شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حِجَّةَ الْوَدَاعِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، وَشَهِدَ مَعَهُ تَبُوكَ سَبْعُونَ أَلْفًا" . انظر: مقدمة ابن الصلاح ص١٤٨.

وروى الرَّامهرمزي بسنده عن مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَامِعٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا زُرْعَةَ أَلَيْسَ يُقَالُ: حَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ؟ قَالَ: " وَمَنْ

قَالَ ذَا؟ قَلْقَلَ اللهُ أَنْيَابَهُ هَذَا قَوْلُ الزَّنَادِقَةِ، وَمَنْ يُحْصِي حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ؟ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشْرَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا زُرْعَةَ هَؤُلَاءِ أَيْنَ كَانُوا وَسَمِعُوا مِنْهُ؟ قَالَ: أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ بَيْنَهُمَا وَالْأَعْرَابُ وَمَنْ شَهِدَ مَعَهُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ كُلٌّ رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ يَعْرِفُهُ ". انظر: الجامع لأخلاق الراوي للرامهرمزي، ، ٢/ ٢٩٣، وانظر هامش الباعث الحثيث بقلم أحمد محمد شاكر، ص١٨٥.

وقال القسطلاني في المواهب اللدنيَّة: " وأمَّا عدة أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمن رام حصر ذلك رام أمراً بعيداً، ولا يعلم حقيقة ذلك إلَّا الله تعالى، لكثرة من أسلم من أوَّل البعثة إلى أن مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتفرّقهم في البلدان والبوادي" . انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني ٧/ ٣٦.

قال ابن كثير: " قال الشَّافعي: روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورآه من المسلمين نحو من ستِّين ألفاً. وقال أبو زرعة الرَّازي: شهد معه حجَّة الوداع أربعون ألفاً، وكان معه بتبوك سبعون ألفاً، وقبض عليه الصَّلاة والسَّلام عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصَّحابة" . انظر: الباعث الحثيث ص١٨٥، وانظر: المواهب اللدنية / ٣٦.

وقد بلغ عدد ما استوعب ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٥٠٠) صحابي، وفي كتاب "الإصابة" ترجم الحافظ ابن حجر لـ: (١٢٣٠٨) صحابي وصحابيَّة بما في ذلك المكرَّر، للاختلاف في اسم الصَّحابي، أو شهرته بكنيته أو لقبه، أو نحو ذلك، وبما فيه أيضاً مَنْ ذكره بعض المؤلِّفين في الصَّحابة وليس منهم . انظر الجزء الثامن من الإصابة ص٥٣٦.

هذه أشهر الرِّوايات التي اطَّلعت عليها والتي اشتملت على تحديد العدد أو عدم تحديده، ومن خلالها يتبيَّن بجلاء لكلِّ ناظر أنَّ أمر تحديد العدد ممَّا لا سبيل إليه، ولذلك رأينا العراقي يعلِّق على ذلك فيقول: " ... وفي هذا التَّحديد بهذا العدد المذكور نظر كبير ، وكيف يمكن الاطلاع على تحرير ذلك مع تفرُّق الصَّحابة في البوادي والقرى ؟! والموجود عن أبي زرعة بالأسانيد المتَّصلة إليه ترك التَّحديد في ذلك ، وإنَّهم يزيدون على مائة ألف ، كما رواه أبو موسى المديني في ذيله على الصَّحابة لابن منده بإسناده إلى أبي جعفر أحمد بن عيسى الهمداني قال : قال أبو زرعة الرَّازي : توفِّي النَّبيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة ، وكلّ قد روى عنه سماعاً أو رؤية ، انتهى . وهذا قريب لكونه لا تحديد فيه بهذا القدر الخاص.

وأمَّا ما ذكره المصنِّف عن أبي زرعة فلم أقف له على إسناد ، ولا هو في كتب التَّواريخ المشهورة ، وقد ذكره أبو موسى المديني في ذيله على الصَّحابي بغير إسناد ، فقال : ذكر سليمان بن إبراهيم بخطِّه ، قال : قيل لأبي زرعة فذكره دون قوله : قلقل الله أنيابه . وقد جاء عن الشَّافعي أيضاً عدة من توفِّي عنه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصَّحابة ، ولكنَّه دون هذا بكثير . ورواه أبو بكر السَّاجي في مناقب الشَّافعي عن محمَّد ابن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : أنبأنا الشَّافعيُّ ، قال : قُبض الله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون ستُّون ألفاً ، ثلاثون بالمدينة وثلاثون ألفاً في قبايل العرب وغير ذلك ، وهذا إسناد جيِّد ، ومع ذلك فجميع من صنَّف الصَّحابة لم يبلغ مجموع ما في تصانيفهم عشرة آلاف مع هذا كونهم يذكرون من توفِّي في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المغازي وغيرها ومن عاصره وهو مسلم وإن لم يره ، وجميع من ذكره ابن منده في الصَّحابة كما قال أبو موسى قريب من ثلاثة آلاف وثمانمائة ترجمة ممَّا رآه أو صحبه أو سمع منه أو ولد في عصره أو أدرك زمانه أو من ذكر فيهم ، وإن لم يثبت ومن اختلف له في ذلك ، ولا شكَّ أنَّه لا يمكن حصرهم بعد فشو الإسلام ، وقد ثبت في صحيح البخاري أنَّ كعب بن مالك قال في قصَّة تخلُّفه عن غزوة تبوك وأصحاب رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعني الدِّيوان الحديث ، هذا في غزوة خاصَّة وهم مجتمعون فكيف بجميع من رآه مسلماً ، والله أعلم" . انظر: التقييد والإيضاح للعراقي ١/ ٣٠٥.

المَبْحَثُ الثَّانِي

عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَة

قامت عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة على محبَّة أصحاب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموالاتهم، وأنَّهم فاضلون ومتفاضلون فيما بينهم، وأنَّهم عدول، ثبتت تزكيتهم في الكتاب والسُّنَّة والإجماع، وأنَّ الواجب على المؤمن حيال ما وقع بينهم إنَّما هو إحسان الظَّنِّ بهم، والتَّرَضِّي عليهم، والدُّعاء لهم، والثَّناء عليهم بالجميل اللائق بهم، وسلامة الألسنة والصُّدور من كلِّ لا يليق بهم، قال الطَّحاوي في عقيدته: " وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ". انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ابن أبي العز، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤٠٠م) ص٢٥٨.

وقال ابن تيمية: "وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ فِي قَوْله تَعَالَى : **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" . وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ: مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَّ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ" ، وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" . انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢) .

ولتجلية هذا الأمر، فقد جاء هذا المبحث ضمن المطالب التَّالية:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

فَضْلُ الصَّحَابَةِ وَتَفَاضُلُهُم

أوَّلاً: فضل الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم في الكتاب والسُّنَّة:

من المعلوم أنَّ فضائل الصَّحابة الكرام – عليهم رضوان الله- واردة بطريق الإجمال والتَّفصيل، أمَّا الإجمال فيشمل جميعهم، وأمَّا التَّفصيل فلمن ورد فيه شيء بخصوصه . انظر: فتح الباري ٧/ ٣.

وفضل الصَّحابة ثابت بالكتاب والسُّنَّة، أمَّا الكتاب فالآيات الواردة في فضلهم كثيرة، منها:

(١) قوله تعالى: **لا يَستَوِي مِنكُم مَن أنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وقاتَلَ أُولئكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الذِينَ أنفَقوا مِن بَعدُ وَقاتلوا وَكلاًّ وَعَدَ الله الحُسنَى** ﴿الحديد: ١٠﴾ .

قال الرَّازي: "جَعَلَ عُلَمَاءُ التَّوْحِيدِ هَذِهِ الْآيَةَ دَالَّةً عَلَى فَضْلِ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْفَقَ وَجَاهَدَ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْفَتْحِ " . انظر: تفسير الرازي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م) ٢٩/ ١٩١.

وقال البروسوي: "الصَّحابة مطلقاً أفضل ممَّن جاء بعدهم مطلقاً، فإنَّهم السَّابقون من كلِّ وجه" .

انظر: روح البيان (البروسوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م) ٩/ ٤٢٣-٤٢٤.

وقال القاسمي: "وفي الإكليل": في الآية دليل على أنَّ للصَّحابة مراتب، وأنَّ الفضل للسَّابق، وعلى تنزيل النَّاس منازلهم، وعلى أنَّ أفضليَّة العمل على قدر رجوع منفعته إلى الإسلام والمسلمين، لأنَّ الأجر على قدر النَّصَب" . انظر: محاسن التأويل (القاسمي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م) ٩/ ٣٨٢٨.

واستدلَّ ابن حزم بهذه الآية بالقطع بأنَّ كلّ من صحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنيَّة صادقة ولو ساعة، فإنَّه من أهل الجنَّة، لا يدخل النَّار لتعذيب إلَّا أنَّهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح .

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (ابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م) ٣/ ٧٢.

(٢) وقوله تعالى: **﴿وَالسَابِقُونَ الأَوّلُون مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأنصَارِ وَالذينَ اتَّبَعُوهُم بإحسَانٍ رَضِي الله عَنهُم وَرَضُوا عَنه وَأعَدَ لَهُم جَنَّاتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنهَار خالِدينَ فِيهَا أبَداً ذلِكَ الفَوزُ العَظيم﴾** ﴿التوبة: ١٠٠﴾ .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " أَخْبَرَ اللهُ الْعَظِيمُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ: فَيَا وَيْلُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهم أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سبَّ

بَعْضَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا سيدُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ وَخَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ، أَعْنِي الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ وَالْخَلِيفَةَ الْأَعْظَمَ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عِياذًا بِاللهَّ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يسبُّون مَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؟ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضُّونَ عَمَّنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللهَّ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللهَّ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدُونَ وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللهَّ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ". انظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٩٩٦م) ص٨١٥، وانظر: تفسير القرطبي (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، بلا) ٨/ ٢٣٥-٢٤٠، تفسير القاسمي ٥/ ٢١٦٦-٢١٦٧، روح المعاني (الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م) ٦/ ٨-١٠، التحرير والتنوير (ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م) ١٠/ ١٩١-١٩٢.

(٣) وقوله تعالى: **﴿لَقَد تَابَ الله عَلى النَّبي والمُهَاجِرين وَالأنصَار الذينَ اتَّبَعُوه فِي سَاعَة العسرَة مِن بَعد مَا كَاد يَزيغ قُلوُب فرِيق مِنهُم ثُمّ تَابَ عَلَيهم إنَّه بِهِمْ رَءُوف رَحيم﴾**﴿التوبة: ١١٧﴾.

والآية تفيد غاية المدح للمهاجرين والأنصار، قال الرَّازي: " وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ وَصْفُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَوْقَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالْأَحْوَالِ الصَّعْبَةِ، وَذَلِكَ يُفِيدُ نِهَايَةَ الْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ" . انظر: تفسير الرازي، ١٦/ ١٧١.

وقد حضر غزوة تبوك جميع الصَّحابة، وذلك أنَّ " وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَار: هُمْ مَجْمُوعُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ جَيْشُ الْعُسْرَةِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَلَكِنَّهُمْ خُصُّوا بِالثَّنَاءِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَدَّدُوا وَلَمْ يَتَثَاقَلُوا وَلَا شَحُّوا بِأَمْوَالِهِمْ، فَكَانُوا أُسْوَةً لِمَنِ اتَّسَى بِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ". انظر: التحرير والتنوير ١٠/ ٢١٩.

أمَّا من تخلَّف منهم فقد جاء الوحي بقبول توبتهم ...

(٤) وقوله تعالى: **﴿مُحَمّد رَسُولُ الله وَالذّينَ مَعَهُ أشّداءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَمَاءُ بينَهُم تَرَاهُم رُكَّعاً سُجّداً يَبتَغُونَ فَضْلاً مِن الله وَرِضوَاناً سِيماهُم فِي وُجوهِهِم مِن أَثَرِ السُجودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَوراةِ ومثلهم**

في الإنجيلِ كَزَرعٍ أَخرَج شَطأَهُ فَآزَرَهُ فاستَغلَظَ فاستَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعجِب الزُّرّاعَ لِيَغِيظ بِهِم الكُفّارَ وَعَدَ الله الذينَ ءامَنُوا وَعَمِلوا الصَالِحاتِ مِنهُم مَغفِرَةً وَأَجراً عَظِيماً﴾﴿ الفتح: ٢٩﴾ .

قال ابن كثير: "وَقَالَ مَالِكٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوُا الصَّحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ: "وَاللَّهِ لَهَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَغَنَا". وَصَدَقُوا فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مُعَظَّمَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَعْظَمُهَا وَأَفْضَلُهَا أَصْحَابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد نَوَّهَ اللَّهُ بِذِكْرِهِمْ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَدَاوَلَةِ" . انظر: تفسير ابن كثيرص١٥٩٦.

وفي قوله تعالى: **﴿وَالذّينَ مَعَهُ﴾** إشارة إلى جميع الصَّحابة عند الجمهور. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ابن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م) ٥/ ١٤٠.

وفي قوله تعالى: **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِّ وَرِضْواناً﴾** قال ابن الجوزي: "وهذا الوصف لجميع الصَّحابة عند الجمهور". انظر: زاد المسير (ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م) ص١٣٢٥.

وفي قوله تعالى: **﴿وَعَدَ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾** قال الشَّوكاني: " أَيْ: وَعَدَ سُبْحَانَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَهُمْ، وَيُجْزِلَ أَجْرَهُمْ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ وَأَعْظَمُ مِنَّةٍ" . انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (الشوكاني ، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م) ص١٦٥٨.

" وَوَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، لَا يُخْلَفُ وَلَا يُبَدَّلُ، وَكُلُّ مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الصَّحَابَةِ فَهُوَ فِي حُكْمِهِمْ، وَلَهُمُ الْفَضْلُ وَالسَّبْقُ وَالْكَمَالُ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ" . انظر: تفسير ابن كثير، ص١٥٦٩.

قال أبو حيَّان: " وَذُكِرَ عِنْدَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَجُلٌ يَنْتَقِصُ الصَّحَابَةَ، فَقَرَأَ مَالِكٌ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَالَ: مَنْ أَصْبَحَ بَيْنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غَيْظٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ أَصَابَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ"

.انظر: البحر المحيط (أبو حيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م) ٨/ ١٠٢، وانظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ١٧٧.

(٥) وقوله تعالى: **﴿لَقَد رَضِيَ الله عَنِ المَؤمِنينَ إِذ يُبَايِعونَك تَحتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَنزَلَ السَّكينَةَ عَلَيهِم وَأَثابَهُم فَتْحاً قَرِيباً﴾**﴿ الفتح: ١٨﴾ .

والآية دالَّة على فضيلة الصَّحابة رضوان الله عليهم، ذلك أنَّ الله تعالى أنال المبايعين رضوانه وهو أعظم خير في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾﴿التوبة:٧٢﴾ ، والشَّهادة لهم بإخلاص النيَّة، وإنزاله السَّكينة قلوبهم ووعدهم بثواب فتح قريب ومغانم كثيرة". انظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٦.

قال ابن حزم: "فمن أخبرنا الله أنَّه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم، وأنزل السَّكينة عليهم، فلا يحلُّ لأحد التَّوقُّف في أمرهم، ولا الشَّكّ فيهم البتَّة". انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٣/ ٧٢.

ومن المعلوم أنَّ من كان مع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرابة ألف وخمسماية من الصَّحابة، قال ابن عطيَّة: "واختلف في عدد المبايعين فقيل: ألف وخمسمائة، قاله قتادة، وقيل: وأربعمائة، قاله جابر بن عبد الله، وقيل: وخمسمائة وخمسة وعشرون، قاله ابن عبَّاس، قيل: وثلاثمائة، قاله ابن أبي أوفى، وقيل غير هذا". انظر: المحرر الوجيز، ٥/ ١٣٤، تفسير ابن كثير، ص١٥٨٦.

وأمَّا السُّنَّة، فالأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة، منها:

الحديث الأول: أخرج الشيخان في صحيحيهما بسندهما عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» . أخرجه البخاري ص٦٩٧، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، برقم ٣٦٥٠، مسلم ص١٠٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصَّحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم ٢٥٣٥.

قال الحافظ ابن حجر: "وَالْقَرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَقْصُودَةِ وَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا اجْتَمَعُوا فِي زَمَنِ نَبِيٍّ أَوْ رَئِيسٍ يَجْمَعُهُمْ عَلَى مِلَّةٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُطْلَقُ الْقَرْنُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ ... وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَرْنَ مِائَةٌ وَهُوَ الْمَشْهُورُ ... وَالْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحَابَةُ وَقَدْ سَبَقَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَوْلُهُ وَبُعِثْتُ فِي خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ" . أخرجه البخاري ص٦٨١، كتاب المناقب، باب صفة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم ٣٥٥٧.

وَفِي رِوَايَةِ بُرَيْدَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ "خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ" . أخرجه مسلم ص١٠٢٤، كتاب فضل الصحابة، باب فضل الصَّحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم ٢٥٣٥، أحمد في المسند (بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٩٩٦م) ص١٦٨٩، رقم ٢٣٣٤٨.

وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الَّذِي بَيْنَ الْبَعْثَةِ وَآخِرِ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً أَوْ دُونَهَا أَوْ فَوْقَهَا بِقَلِيلٍ عَلَى الِاخْتِلَافِ فِي وَفَاةِ أَبِي الطُّفَيْلِ ...

وَاقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَابَةُ أَفْضَلَ مِنَ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ ، لَكِنْ هَلْ هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجْمُوعِ أَوِ الْأَفْرَادِ مَحَلُّ بَحْثٍ ، وَإِلَى الثَّانِي نحا الْجُمْهُور وَالْأَوَّل قَول بن عَبْدِ الْبَرِّ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ فِي زَمَانِهِ بِأَمْرِهِ أَوْ أَنْفَقَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ بِسَبَبِهِ لَا يَعْدِلُهُ فِي الْفَضْلِ أَحَدٌ بَعْدَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ ذَلِكَ فَهُوَ مَحَلُّ الْبَحْثِ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾** الْآيَة ﴿الحديد: ١٠﴾ ...

وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ لِمُشَاهَدَةِ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمَّا مَنِ اتَّفَقَ لَهُ الذَّبُّ عَنْهُ وَالسَّبْقُ إِلَيْهِ بِالْهِجْرَةِ أَوِ النُّصْرَةِ وَضَبْطِ الشَّرْعِ الْمُتَلَقَّى عَنْهُ وَتَبْلِيغِهِ لِمَنْ بَعْدَهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُ لِأَنَّهُ مَا مِنْ خَصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ إِلَّا وَلِلَّذِي سَبَقَ بِهَا مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ فَظَهَرَ فَضْلُهُمْ" . انظر: فتح الباري ٧/ ٥-٦ .

الحديث الثَّاني : قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ» . أخرجه البخاري، ص٧٠١، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لو كنت متخذاً خليلاً) برقم ٣٦٧٣، مسلم ص١٠٢٦ كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصَّحابة برقم ٢٥٤١.

قال النَّووي: "وَمَعْنَاهُ : لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ ثَوَابُهُ فِي ذَلِكَ ثَوَابَ نَفَقَةِ أَحَدِ أَصْحَابِي مُدًّا وَلَا نِصْفَ مُدٍّ . قَالَ الْقَاضِي : وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا قَدَّمْنَاهُ فِي أَوَّلِ بَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ عَنِ

الْجُمْهُورِ مِنْ تَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَسَبَبُ تَفْضِيلِ نَفَقَتِهِمْ : أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ وَضِيقِ الْحَالِ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ ، وَلِأَنَّ إِنْفَاقَهُمْ كَانَ فِي نُصْرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِمَايَتِهِ وَذَلِكَ مَعْدُومٌ بَعْدَهُ ، وَكَذَا جِهَادُهُمْ وَسَائِرُ طَاعَتِهِمْ . وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أولئك أَعْظَم دَرَجَة﴾** الْآيَةُ . هَذَا كُلُّهُ مَعَ مَا كَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْإِيثَارِ وَالْجِهَادِ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَفَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ ، وَلَوْ لَحْظَةً لَا يُوَازِيهَا عَمَلٌ وَلَا تُنَالُ درجتها بشيء ، وَالْفَضَائِلُ لَا تُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ" .

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بلا) ١٦/ ٩٣.

الحديث الثَّالث: روى الشَّيخان –أيضاً– بسندهما عن علي كرم الله وجهه أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمر: " يَا عُمَرُ، وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ" . أخرجه البخاري ص١٢٠٥، كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب يحذر على المسلمين ليستبين أمره برقم ٦٢٥٩، مسلم ١٠١٢، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر برقم ٢٤٩٤.

قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن القرطبي : " وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ خِطَابُ إِكْرَامٍ وَتَشْرِيفٍ تَضَمَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ حَصَلَتْ لَهُمْ حَالَةٌ غُفِرَتْ بِهَا ذُنُوبُهُمُ السَّالِفَةُ وَتَأَهَّلُوا أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ مَا يُسْتَأْنَفُ مِنَ الذُّنُوبِ اللَّاحِقَةِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِ الصَّلَاحِيَّةِ لِلشَّيْءِ وُقُوعُهُ وَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ صِدْقَ رَسُولِهِ فِي كُلِّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا عَلَى أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَنْ فَارَقُوا الدُّنْيَا وَلَوْ قُدِّرَ صُدُورُ شَيْءٍ مِنْ أَحَدِهِمْ لَبَادَرَ إِلَى التَّوْبَةِ وَلَازَمَ الطَّرِيقَ الْمُثْلَى وَيَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ بِالْقَطْعِ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى سِيَرِهِمُ " . انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٥.

الحديث الرَّابع: روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي

مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ». أخرجه مسلم ص١٠٢٢، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة برقم ٢٥٣١.

قال النَّووي: " وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النُّجُومَ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً فَالسَّمَاءُ بَاقِيَةٌ فَإِذَا انْكَدَرَتِ النُّجُومُ وَتَنَاثَرَتْ فِي الْقِيَامَةِ وَهَنَتِ السَّمَاءُ فَانْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ وَذَهَبَتْ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ أَيْ مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَارْتِدَادِ مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْأَعْرَابِ وَاخْتِلَافِ الْقُلُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَنْذَرَ بِهِ صَرِيحًا وَقَدْ وَقَعَ كُلُّ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) مَعْنَاهُ مِنْ ظُهُورِ الْبِدَعِ وَالْحَوَادِثِ فِي الدِّينِ وَالْفِتَنِ فِيهِ وَطُلُوعِ قَرْنِ الشَّيْطَانِ وَظُهُورِ الرُّومِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ وَانْتِهَاكِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" . انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٨٣.

وقال ابن القيِّم: "وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ جَعَلَ نِسْبَةَ أَصْحَابِهِ إلَى مَنْ بَعْدَهُمْ كَنِسْبَتِهِ إلَى أَصْحَابِهِ، وَكَنِسْبَةِ النُّجُومِ إلَى السَّمَاءِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ يُعْطِي مِنْ وُجُوبِ اهْتِدَاءِ الْأُمَّةِ بِهِمْ مَا هُوَ نَظِيرُ اهْتِدَائِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَظِيرُ اهْتِدَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالنُّجُومِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ جَعَلَ بَقَاءَهُمْ بَيْنَ الْأُمَّةِ أَمَنَةً لَهُمْ، وَحِرْزًا مِنْ الشَّرِّ وَأَسْبَابِهِ" . انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (ابن قيم الجوزية ، دار الجيل، بيروت، بلا) ٤/ ١٣٧.

الحديث الخامس: روى مسلم بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» . أخرجه مسلم ص٥٢، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان برقم ٥٠.

والحواريُّون: جمع حواري، وحواري الرَّجل صفوته وخالصته الذي أخلص ونقى من كلِّ عيب، والصَّحابة الكرام، عليهم رضوان الله تعالى هم حواريو رسول الله، وصحابته الذين أخذوا بسنَّته واقتدوا بأمره، وبذلوا الغالي والنَّفيس والمهج والأرواح في سبيل الدِّين، فكانوا جديرين بتلك

الفضيلة، وهل هنالك درجة أعظم من أن يكون الإنسان ربَّانيَّاً؟! . انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الطيبي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م) ١/ ٣٥٠.

ثانياً: بيان تفاضل الصَّحابة:

دلَّت أدلَّة الكتاب والسُّنَّة على تفاضل الصَّحابة فيما بينهم، ومن الأدلَّة على ذلك :

قوله تعالى: ﴿**لا يَستَوي مِنكُم مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتحِ وَقَاتَلَ أُولئِكَ أعظَمُ دَرَجَةً منَ الذينَ أنفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلوا**﴾﴿الحديد:١٠﴾ .

والآية نصٌّ واضح قاطع في أفضليَّة من أنفق ماله وقاتل من قبل الفتح على من أنفق من بعد وقاتل. قال الطَّبراني في تفسير هذه الآية: "معناه: لا يستوي منكم في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو من قبل فتح مكَّة مع من أنفق من بعد وقاتل. قال الكلبي: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ... وفي هذه الآية دلالة واضحة وحجَّة بيِّنة على فضل أبي بكر وتقديمه على سائر الصَّحابة، كما روي عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: "لا أؤتَى برجل فضَّلني على أبي بكر وعمر إلَّا جلدته حدَّ المفتري" . انظر: التفسير الكبير (الطبراني ، دار الكتب الثقافي، بيروت، ط١) ٢٠٠٨، ٦/ ٢٠٤-٢٠٥، وانظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل ، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م) ص١٢٧٦-١٢٧٧، أسباب النزول (الواحدي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م) ص٢٧١-٢٧٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٠.

وقد نصَّ العلماء على أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أفضل الصَّحابة على الإطلاق، وأنَّه أكملهم، وأعلمهم بأمور الدِّين، وأشدَهم موافقة لأمر الله تعالى. انظر: فتح الباري ٢/ ١٦٥، ٥/ ٣٤٦.

وأنَّ أفضليَّة الصدِّيق متواترة تواتراً معنوياً . انظر: فتح الباري ١٢/ ٣٩٦، وانظر فضل أبي بكر في البخاري، أحاديث رقم: ٣٦٥٦ فما بعده ...

وبعد أبي بكر يأتي عمر بن الخطَّاب بعده في الفضيلة. انظر: فتح الباري ٢/ ١٥٦.

وفي فضيلة هذين الصَّحابيِّين رضوان الله عليهما روى الشَّيخان بسندهما عن عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» . أخرجه البخاري ص٦٩٩، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النَّبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً خليلاً) برقم ٣٦٢٢، مسلم ص٩٧٢، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق برقم ٢٣٨٤.

ومن الأدلَّة على ذلك –أيضاً– ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ" . أخرجه البخاري ص٧٠٢، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، برقم ٣٦٧٧، مسلم، ص٩٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، برقم ٢٣٨٩، وانظر فضل عمر بن الخطاب في البخاري، أحاديث رقم: ٣٦٧٩ فما بعده.

ثمَّ حدث اختلاف في أيّ الرَّجلين أفضل بعد أبي بكر وعمر: عثمان أو علي؟

قَالَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» . أخرجه البخاري ص٦٩٨، بكتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم ٣٦٥٥.

قال الحافظ ابن حجر: " وَفِي الْحَدِيثِ تَقْدِيمُ عُثْمَانَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ . وَذَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ : سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُ ، وَقَالَ بِهِ بن خُزَيْمَةَ وَطَائِفَةٌ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ . وَقِيلَ : لَا يُفَضَّلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، قَالَهُ مَالِكٌ فِي الْمُدَوَّنَةِ وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ : يَحْيَى الْقَطَّانُ ، وَمِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بن حَزْمٍ ، وَحَدِيثُ الْبَابِ حُجَّةٌ لِلْجُمْهُورِ" . انظر: فتح الباري ٧/ ١٦.

وذكر الحافظ أنَّ الإجماع انعقد بأخرة بين أهل السُّنَّة أنَّ ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، رضي الله عنهم أجمعين. انظر: فتح الباري ٧/ ٣٤.

وممَّا يؤكِّد ما ذكره الحافظ أنَّ البيهقي روى عن الشَّافعي أنَّه قال: أجمع الصَّحابة وأتباعهم على أفضليَّة أبي بكر ثمَّ عمر ثم عثمان ثمَّ علي. انظر: فتح الباري ٧/ ١٧.

وبمثله قال الغزالي. انظر: إحياء علوم الدِّين (الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م) ١/ ١١٥.

واللقَّاني. انظر البيت السادس والسبعين من جوهرة التوحيد.

وابن كثير. انظر: الباعث الحثيث ص١٨٣.

وابن قدامة. انظر: لمعة الاعتقاد، ص٢٤ .

وعبد القاهر البغدادي . انظر: أصول الدِّين (عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨١م) ص٣٠٤.

والقونوي. انظر: إتحاف السادة المتقين (الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م) ٢/ ٣٥٧.

وغيرهم كثير....

قال عبد القاهر البغدادي: "أصحابنا مجمعون على أنَّ أفضلهم: الخلفاء الأربعة ثمَّ السِّتَّة الباقون بعدهم إلى تمام العشرة وهم طلحة، والزُّبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن نفيل، وعبد الرَّحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرَّاح، ثمَّ البدريُّون ثمَّ أصحاب أحد ثمَّ أهل بيعة الرِّضوان بالحديبية..." .انظر: أصول الدِّين ص٣٠٤، فتح الباري ٧/ ٥٨، ٤٣٣.

المَطْلَبُ الثَّانِي

مَحَبَّتُهُم

جاءت آيات الكتاب العزيز، وكذا الأحاديث الشَّريفة تؤكِّد على أنَّ واجب الأمَّة نحو أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو: محبَّتهم، والثَّناء عليهم، والاستغفار لهم، والتَّرحُّم عليهم، والتَّرضي عنهم، واعتقاد محبَّتهم وموالاتهم، وأنَّهم بذلك حازوا مرتبة لم تتأتَّى لمن بعدهم، فقد أثنى الله تعالى عليهم، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: **﴿وَالسّابقُونَ الأَوّلونَ مِنَ المُهَاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالذينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنه وَأعدَّ لَهُم جنّاتٍ تَجري مِن تَحتِها الأَنهَارُ خَالِدينَ فيها أَبَداً ذَلكَ الفَوزُ العَظيم﴾**﴿التوبة:١٠٠﴾ .

وقال سبحانه: **﴿لا يَستَوي مِنكُم مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتحِ وَقَاتَلَ أُولئِكَ أعظَمُ دَرَجَةً منَ الذينَ أنفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلوا﴾**﴿الحديد: ١٠﴾ .

وقال: ﴿للفُقَراء المُهَاجِرينَ الذينَ أُخرجُوا مِن دِيارِهِم وَأموالِهِم يَبتَغونَ فَضلاً مِن الله ورِضواناً وَيَنصُرونَ الله وَرَسولَه أولَئكَ هُم الصَادِقون * وَالذينَ تَبوّءوا الدّارَ وَالإيمانَ مِن قَبلِهِم يُحبّونَ مَن هَاجَرَ إليهِم ولا يَجدُون في صُدورِهِم حَاجَةً مما أُوتوا وَيُؤثِرونَ عَلى أنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِه فَأولئكَ هُم المُفلِحون * وَالذينَ جَاءوا مِن بَعدِهِم يَقُولون رَبّنا اغفر لَنا ولإخوانِنا الذين سَبقونا بالإيمانِ وَلا تَجعَل فِي قُلوبِنَا غِلاً للذينَ ءامَنوا رَبَّنا إنّكَ رءوفٌ رَحيم﴾﴿الحشر: ٨-١٠﴾.

قال ابن أبي العز: " وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَعَلَى الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ لَا يَجْعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ غِلًّا لَهُمْ، وَتَتَضَمَّنُ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْتَحِقُّونَ لِلْفَيْءِ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لِلَّذِينِ آمَنُوا وَلَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّ فِي الْفَيْءِ نَصِيبًا، بِنَصِّ الْقُرْآنِ". انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٥٢٨-٥٢٩.

وقال البغوي: " قَالَ مَالِكٌ: مَنْ يُبْغِضُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِمْ غِلٌّ، فَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى قَوْلِهِ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾﴿الْحَشْر: ٧ - ١٠﴾ الآيَةَ.

وَذُكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ يَنْتَقِصُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ مَالِكٌ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ إِلَى قَوْلِهِ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾﴿الْفَتْح: ٢٩﴾ ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ أَصَابَتْهُ الآيَةُ".
انظر: شرح السُّنَّة للبغوي ١/ ٢٢٩.

وأمَّا الأحاديث، فقد أكَّدت ما أكَّدته آيات الكتاب العزيز من وجوب محبَّتهم والذَّبّ عنهم، وقد ذكرتُ طرفاً من ذلك عند الحديث عن فضلهم وفضائلهم، وهأنذا مورد بعضاً من الأحاديث التي جاءت ترشد إلى محبَّتهم إجمالاً لجملتهم، وتفصيلاً لبعضهم، فمن ذلك:

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى

اللهَّ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ". أخرجه الترمذي (بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص٥٩٧، كتاب المناقب، باب فيمن سبّ أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم ٣٨٦٢، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، أحمد ص١١٨٦، حديث عبد الرحمن بن أزهر، برقم ١٦٩٢٦. وقد ضعّف الشيخ شعيب الأرناؤوط الحديث في تخريجه لصحيح ابن حبان (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م) ١٦/ ٢٤٤ برقم ٧٢٥٦.

وَقَوْلُهُصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ» . أخرجه البخاري ص٧٢٠، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان، برقم ٣٧٨٣، مسلم ص٦٠، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، برقم ٧٥، الترمذي ص٦٠١، كتاب المناقب، باب في فضل الأنصار وقريش، برقم ٣٩٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، أحمد في المسند ص٢٣٦، مسند عبد الله بن العباسي بن المطلب برقم ٢٨٢٠.

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَبْغَضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ قَالَ عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا مِنَ القَرْنِ الَّذِي دَعَا لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه الترمذي ص٥٨٣، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، برقم ٣٧٣٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ابن ماجه (بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٩٩٦م) ص٢٩، ، المقدمة برقم ١١٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي» . أخرجه ابن ماجه في المقدمة ص٣٢، برقم ١٤٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ المَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ: «أَيْنَ لُكَعُ - ثَلاَثًا - ادْعُ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ» . فَقَامَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ . أخرجه البخاري ص٤٠٠، كتاب البيوع، باب ماذكر في الأسواق، برقم ٢١٢٢، مسلم ص٩٨٥، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين برقم ٢٤٢١.

وحقيقة المحبَّة: الميل إلى ما يوافق، إمَّا لحسن السَّريرة، وإمَّا لوصول إحسان، وهذان الوصفان متوافران في الصَّحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى، ويكفي لحسن سريرتهم أنَّ الله تعالى امتدحهم في العديد من آيات الكتاب العزيز، وكذا امتدحهم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

العديد من الأحاديث الشَّريفة، وأمَّا إحسانهم فيكفي في ذلك أنَّهم حملة الشَّريعة، وهم الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله تعالى ...

قال ابن حجر الهيتمي: "يجب عليك أيُّها المسلم الممتلئ القلب من محبَّة الله ورسوله أن تحبَّ جميع أصحاب نبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّ الله تعالى أمتنَّ عليهم بمنَّة لم يشاركهم غيرهم فيها. وهي حلول نظره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإمداده لهم بما قطع غيرهم من اللحوق بهم في باهر كمالهم، وعظيم استعدادهم، وسعة علومهم، وحقيّة وراثتهم...". انظر: تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان (ابن حجر الهيتمي ، مطبوع بذيل الصواعق المحرقة، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م) ص٤.

وعقد اللالكائي عنواناً في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة فقال: "سياق ما روي في أنَّ معرفة فضائل الصَّحابة من السُّنَّة . انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (اللالكائي ، ت: نشأت المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م) ٧/ ٤٦.

وأسند تحته عدداً من الرِّوايات عن الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة فيها تصريحهم بأنَّ حبّ الصُّحبة سُنَّة، وعقد عنواناً آخر فقال: "سياق ما روي عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحثِّ على حبِّ الصَّحابة، وذكر محاسنهم، والتَّرحُّم عليهم، والاستغفار لهم، والكفّ عن مساوئهم". انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ٧/ ٥٠.

وأسند عدداً من الرِّوايات في ذلك عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال ابن قدامة: "ومن السُّنَّة تولي أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومحبَّتهم، وذكر محاسنهم، والتَّرحُّم عليهم، والاستغفار لهم، والكفِّ عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم". انظر: لمعة الاعتقاد ص٤٠.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

عَدَالَتُهُم

تقدَّم معنا في المطلب الأوَّل من هذا المبحث أنَّ الله تعالى خصَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بمزايا وخصال لم تعط لغيرهم، تلك الخصائص والميزات التي جعلت منهم عدولاً . عرّف الخطيب البغدادي "العدل" بأنه: "من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقى ما نهى عنه، وتجنّب الفواحش المسقطة، وتحرّى الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه مما يثلم الدِّين والمروءة، فمتى كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه، معروف بالصدق في حديثه"، انظر: الكفاية في علم الرواية، ص٨٠.

فهم معدَّلون بنصوص الكتاب والسُّنَّة، لا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله لهم وهو المطَّلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق، وقد انعقد الإجماع على ذلك.

وقد أفاض العلماء في التَّأكيد على ما أكَّده الكتاب والسُّنَّة من تعديل الصَّحابة الكرام، ومن أقوالهم في ذلك:

وقال ابن عبد البر (٤٦٣هـ) في مقدمة "الاستيعاب" وهو يتحدَّث عن الصَّحابة الكرام: " ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عزَّ وجلَّ عليهم وثناء رسوله عليه السَّلام، ولا أعدل ممَّن ارتضاه الله لصحبة نبيّه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قَالَ الله تعالى ذكره : **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهَّ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهَّ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود﴾** الآية. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه، وليس كذلك جميع من رآه ولا جميع من آمن به، وسترى منازلهم من الدِّين والإيمان، وفضائل ذوي الفضل والتَّقدّم منهم، فاللهَّ قد فضَّل بعض النَّبيِّين على بعض، وكذلك سائر المسلمين، والحمد لله ربّ العالمين". انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب (ابن عبد البر ، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م) ١/ ٧.

وقال ابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : "لِلصَّحَابَةِ بِأَسْرِهِمْ خَصِيصَةٌ، وَهِيَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْ عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ ذَلِكَ أَمْرٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، لِكَوْنِهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُعَدَّلِينَ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ مَنْ يُعْتَدُّ

بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ مِنَ الْأُمَّةِ ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** الْآيَةَ، قِيلَ: اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ وَارِدٌ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٦٤.

وقال القرطبي (٦٧١هـ) : " فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، أَوْلِيَاءُ اللهِ تَعَالَى وَأَصْفِيَاؤُهُ، وَخِيَرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ. هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ أَئِمَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ ذَهَبَتْ شِرْذِمَةٌ لَا مُبَالَاةَ بِهِمْ إِلَى أَنَّ حَالَ الصَّحَابَةِ كَحَالِ غَيْرِهِمْ، فَيَلْزَمُ الْبَحْثُ عَنْ عَدَالَتِهِمْ". انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ٢٩٩.

وقال ابن كثير (٧٧٤هـ) : "والصَّحابة كلّهم عدول عند أهل السُّنَّة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السُّنَّة النَّبويَّة في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وبما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رغبة فيما عند الله من الثَّواب الجزيل، والجزاء الجميل". انظر: الباعث الحثيث، ص١٨١-١٨٢.

وقال النَّووي (٦٧٦هـ) وهو يتحدَّث عن الصَّحابة: "اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَقِّ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِ شَهَادَاتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ وَكَمَالِ عَدَالَتِهِمْ ، رَضِيَ الله عنهم أجمعين". انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٤٩.

وقال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وَأَمَّا الصَّحَابَةُ فَكُلُّهُمْ عُدُولٌ ، فَلَا يُقَالُ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ ثَبَتَتْ صُحْبَتُهُ : مَجْهُولٌ ، وَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ فَهُوَ مَرْجُوحٌ وَيَحْتَاجُ مَنِ ادَّعَى الشَّرْطَ فِي بَقِيَّةِ الْمَوَاضِعِ إِلَى الْأَجْوِبَةِ". انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٧٥، الإصابة ١/ ١٦٢.

وقال السُّيوطي (٩١١هـ) في شرحه لقول النَّووي: " الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ مَنْ لَابَسَ الْفِتَنَ وَغَيْرُهُمْ بِإِجْمَاعِ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ"، قَالَ تَعَالَى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾**﴿البقرة: ١٤٣﴾ الْآيَةَ، أَيْ عُدُولًا.

وَقَالَ تَعَالَى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**﴿آل عمران: ١١٠﴾ ، وَالْخِطَابُ فِيهَا لِلْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» ، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. أخرجه البخاري ص٦٩٧، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم ٣٦٥٠، مسلم ص١٠٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصَّحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم ٢٥٣٥.

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: وَالسَّبَبُ فِي عَدَمِ الْفَحْصِ عَنْ عَدَالَتِهِمْ: أَنَّهُمْ حَمَلَةُ الشَّرِيعَةِ؛ فَلَوْ ثَبَتَ تَوَقُّفٌ فِي رِوَايَتِهِمْ لَانْحَصَرَتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى عَصْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمَا اسْتُرْسِلَتْ عَلَى سَائِرِ الْأَعْصَارِ".
انظر: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي (السيوطي ، بلا) ٢/ ٢١٤.

وقال الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ) بعد أن ذكر ما ورد في فضل الصَّحابة الكرام من الآيات والأحاديث والآثار: " وَجَمِيعُ ذَلِكَ يَقْتَضِي طَهَارَةَ الصَّحَابَةِ ، وَالْقَطْعَ عَلَى تَعْدِيلِهِمْ وَنَزَاهَتِهِمْ ، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ تَعْدِيلِ اللهِ تَعَالَى لَهُمُ الْمُطَّلِعِ عَلَى بَوَاطِنِهِمْ إِلَى تَعْدِيلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَهُمْ ، فَهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ عَلَى أَحَدِهِمْ ارْتِكَابُ مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا قَصْدَ الْمَعْصِيَةِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْ بَابِ التَّأْوِيلِ ، فَيُحْكَمُ بِسُقُوطِ عَدَالَتِهِ ، وَقَدْ بَرَّأَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ ، وَرَفَعَ أَقْدَارَهُمْ عَنْهُ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَأَوْجَبَتِ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَالْجِهَادِ ، وَالنُّصْرَةِ ، وَبَذْلِ الْمُهَجِ وَالْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ - الْقَطْعَ عَلَى عَدَالَتِهِمْ وَالِاعْتِقَادَ لِنَزَاهَتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُعَدَّلِينَ وَالْمُزَكَّيْنَ الَّذِينَ يَجِيؤُنَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْآبِدِينَ" . انظر: الكفاية في علم الرواية ص٤٨-٤٩.

وقد ذكر غير واحد من العلماء أنَّ الإجماع من العلماء منعقد على تعديل الصَّحابة الكرام، ولم يخالف في ذلك إلَّا من شذَّ ممَّن لا يعتدُّ بشذوذه، وممَّن نقل الإجماع على ذلك: الخطيب البغدادي، النَّووي، ابن حجر العسقلاني، ابن الصَّلاح، ابن عبد البر، الجويني كما نقله السَّخاوي، العراقي .انظر: الكفاية في علم الرواية ص٤٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٤٩ ، الإصابة في تمييز الصَّحابة ١/ ١٦٢، المقدمة لابن الصلاح ص١٤٦، الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١٨، فتح المغيث للسخاوي ٣/ ١٠٣، شرح ألفية العراقي ٣/ ١٣-١٤ بالترتيب .

ومن الجدير بالإشارة إليه هنا أنَّ قول أهل السُّنَّة والجماعة بعدالة الصَّحابة لا يعني عصمتهم، لأنَّ العصمة لا تنبغي إلَّا للرُّسل والأنبياء، ابن تيمية: " وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ - أهل السُّنَّة- لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ

رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ " وَإِنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ " ثُمَّ إذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتِ تَمْحُوهُ أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءِ فِي الدُّنْيَا كَفَّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُمْ؟ ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِنْ الْإِيمَانِ بِاَللهَّ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمِ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللهَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ وَأَنَّهُمْ هُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهَّ تَعَالَى"

. انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥-١٥٦) .

المَطْلَبُ الرَّابعُ

الكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم

ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى الكفِّ والإمساك عمَّا شجر بين الصَّحابة من تشاجر واختلاف، وأنَّ الواجب إزاء ذلك إنَّما هو السُّكوت، اللّهُمَّ إلَّا لغايات الرَّد على المتعصِّبين الذين لا يتردَّدون في الطَّعن على الصَّحابة الكرام، وكذا لغايات التَّعليم من أجل تبصير النَّاشئة بحقيقة الحال والتَّوضيح لهم بأنَّ الجميع مجتهد، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

وقد جاء الأمر بالإمساك عمَّا شجر بينهم –رضوان الله عليهم– في الحديث الذي رواه ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا» . أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ٧٨. وأورده الهيتمي في المجمع (ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م) ٧/ ٢٩٤ برقم ١١٨٥١، وقال: رواه الطبراني، وفيه مسهر بن عبد الملك، وثقة ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعلى ذلك سار علماء الأمَّة أصحاب الشَّأن، ومن أقوالهم في ذلك:

قال ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ) في مقدمة رسالته: " وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – أَجْمَعِينَ وَأَنْ لَا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ". انظر : شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، في كتابه الرسالة للقاضي عبد الوهاب المالكي (دار البحوث، الإمارات العربية، ط١، ٢٠٠٤م) ص٣٨٩ فما بعدها.

وقال الباقلّاني (٤٠٣هـ) : "ويجب الكفّ عن ذكر ما شجر بينهم، والسُّكوت عنه" . انظر : الإنصاف (الباقلاني ، ت: محمد زاهر الكوثري، المكتبة الأزهرية للطباعة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م) ص٦٥.

ونقل عن الخليفة الرّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز أنَّه قال: عندما سئل عن ذلك: "تلك دماء طهَّر الله يدي منها، أفلا أطهِّر منها لساني؟! مثل أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسّها" . انظر : الإنصاف ص٦٦.

وقال ابن كثير (٧٧٤هـ) : "وأمَّا ما شجر بينهم بعده عليه الصَّلاة والسَّلام"، فمنه ما وقع عن غير قصد، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفّين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، وأمَّا المصيب فله أجران اثنان" . انظر : الباعث الحثيث ص١٨٢.

وقال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) ، نقلاً عن صاحب "المُفهم": "وَأَمَّا الْحُرُوبُ الْوَاقِعَةُ بَينهم ، فَإِن وَقع من بَعضهم بغض فَذَاك من غير هَذِه الْجِهَة بل لِلْأَمْرِ الطاريء الَّذِي اقْتَضَى الْمُخَالَفَةَ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْكُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالنِّفَاقِ ، وَإِنَّمَا كَانَ حَالُهُمْ فِي ذَاكَ حَالَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْأَحْكَامِ لِلْمُصِيبِ أَجْرَانِ وللمخطئ أجر وَاحِد ، وَالله أعلم" . انظر : فتح الباري ١/ ٦٣، ١/ ٥٤٢.

وقال أيضاً: " وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ مَنْعِ الطَّعْنِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقَّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ وَقَدْ عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمُخْطِئِ فِي الِاجْتِهَادِ بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ الْمُصِيبَ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ". انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٤.

وقال ابن تيمية:" وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " كَمَا وَصَفَهُمْ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْله تَعَالَى : **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** ، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" . وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ: مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ – وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ – وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ – وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ –: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ] وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ كَالْعَشَرَةِ وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الصَّحَابَةِ. وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ – أَيُّهُمَا أَفْضَلُ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيِّ وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ – مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ – لَيْسَتْ مِنْ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّة لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا هِيَ " مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ " وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتولونهم وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: "أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي" ،

وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ – وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ – فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي" ، وَقَالَ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ خُصُوصًا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ وَالصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " "فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ" .

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ" . انظر : مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢ فما بعدها) .

فهذه طائفة من أقوال أهل العلم الدَّاعية إلى الكفِّ عمَّا شجر بين الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم، وكذا الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات القائمة على الاجتهاد. وأنَّ الواجب يقضي بمحبَّتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، والذَّبّ عنهم، والاستغفار لهم، امتثالاً لقول الله تعالى: **﴿وَالذينَ جَاءوا مِن بَعدِهِم يَقولُونَ رَبّنا اغفِر لَنا ولِإخوَانِنَا الّذينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ وَلا تَجعَل فِي قُلوبِنَا غِلاً للّذينَ ءامَنوا رَبَّنا إنَّكَ رَءوفٌ رَحيم﴾**﴿الحشر: ١٠﴾ .

المَطْلَبُ الخَامِسُ

التَّحْذِيْرُ مِنَ الطَّعْنِ فِيْهِم

من المسلَّمات في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم من الوقوع في الصَّحابة الكرام، وأنَّهم لا يذكرونهم إلَّا بخير، وذلك امتثالاً لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ» .

قال الحافظ ابن حجر: " قَوْلُهُ : "فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ" فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ أَوَّلًا أَصْحَابِي أَصْحَابٌ مَخْصُوصُونَ وَإِلَّا فَالْخِطَابُ كَانَ للصَّحابة ، وَقد قَالَ : "لَو أَنَّ أَحَدُكُمْ أَنْفَق " ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾** الْآيَةَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَنَهْيُ بَعْضِ مَنْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَاطَبَهُ بِذَلِكَ عَنْ سَبِّ مَنْ سَبَقَهُ يَقْتَضِي زَجْرَ مَنْ لَمْ يُدْرِكِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُخَاطِبْهُ عَنْ سَبِّ مَنْ سَبَقَهُ مِنْ بَابِ الْأَوْلَى" . انظر : فتح الباري ٧/ ٣٤.

وكما جاء النَّهي عن الطَّعن في الصَّحابة وسبّهم عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد جاءت الآثار تترى بذكر مناقبهم وتنهى عن التَّعرُّض لجنابهم...

فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (ت: أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م) ١٠/ ٥٥٨ برقم ٣٣٠١٥، ابن أبي عاصم في السُّنَّة (ت: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م) ص٤٧٦، برقم ١٠٠٦، وقال الألباني في تخريج السنة: رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير بسر بن دعلوف فلم أعرفه الآن. (وجاء في الهامش استدراكاً على الألباني: بل هو نسر بن زعلوف: صدوق، تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٣٩، الإكمال ١/ ٣٠١، والتهذيب والتقريب، وبذلك يصح سند الحديث إنشاء الله) .

وورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ» . أخرجه مسلم ص١٢٠٩، كتاب التفسير، باب في حديث الهجرة، برقم ٣٠٢٢، ابن أبي عاصم في السُّنَّة ص٤٧٥ برقم ١٠٠٣، وقال الألباني في تخريج السنة، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال النَّووي: " قَوْلُهَا (أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ) قَالَ الْقَاضِي الظَّاهِرُ أَنَّهَا قَالَتْ هَذَا عِنْدَمَا سَمِعَتْ أَهْلَ مِصْرَ يَقُولُونَ فِي عُثْمَانَ مَا قَالُوا وَأَهْلَ الشَّامِ فِي عَلِيٍّ مَا قَالُوا وَالْحَرُورِيَّةَ فِي الْجَمِيعِ مَا قَالُوا . وَأَمَّا الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ قوله تعالى : **﴿وَالذيْنَ جاؤا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾** . انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٥٨.

ونقل الحافظ ابن حجر عن بن السَّمْعَانِيِّ(٤٨٩هـ) فِي الِاصْطِلَامِ التَّعَرُّضُ إِلَى جَانِبِ الصَّحَابَةِ عَلَامَةٌ عَلَى خِذْلَانِ فَاعِلِهِ بَلْ هُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ" . انظر: فتح الباري ٤/ ٣٦٥.

وعليه، فإنَّ سبَّ أصحاب سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة وضلالة في الدِّين، وأنَّ سبيل المؤمنين في هذا الباب إنَّما هو الدُّعاء لهم، والتَّرضِّي عنهم، والاستغفار لهم، وطلب العذر لهم فيما وقع بينهم من التَّشاجر، فهم عدول الأمَّة، وأئمَّة الهدى، ونقلة الكتاب والسُّنَّة.

قال يحيى بن أبي بكر العامري: "وينبغي لكلِّ صيِّن متديِّن مسامحة الصَّحابة فيما صدر بينهم من التَّشاجر، والاعتذار عن مخطئهم، وطلب المخارج الحسنة لهم، وتسليم صحَّة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه، فهم أعلم بالحال، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب، وطريقة المنافقين تتُّبع المثالب، وإذا كان اللازم من طريقة الدِّين ستر عورات المسلمين، فكيف الظَّن بصحابة خاتم النَّبيِّين مع اعتبار قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي ... » . أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٧ برقم ٢٥٤١) .

وقوله: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» . أخرجه أحمد في المسند ص١٥٨ حديث الحسين بن علي، برقم ١٧٣٧.

هذه طريقة صلحاء السَّلف وما سواها مهاوٍ وتلف". انظر: الرياض المستطابة في من له رواية في الصحيحين من الصَّحابة للعامري ص١١٣.

المَطْلَبُ السَّادِسُ

حُكْمُ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَة

ذكرنا فيما سبق أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ذهبوا إلى وجوب إكرام الصَّحابة وتوقيرهم، والذَّبّ عنهم، وتحريم سبِّهم وتجريحهم، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» . أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٧ برقم ٢٥٤١) .

وقال ابن عمر: " «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ» . أخرجه ابن ماجه ص٣٣ برقم ١٦٢، المقدمة، باب فضل أهل البدر، ابن أبي عاصم في السُّنَّة ص٤٧٦ برقم ١٠٠٦، باب (في ذكر الرافضة أذلهم الله) قال الألباني في تخريجه: "رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير بُسر بن دعلوف فلم أعرفه الآن. وجاء في الهامش تعليقاً على الألباني: بل هو نسر بن زعلوف صدوق: تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٣٩، الإكمال ١/ ٣٠١، التهذيب،

التقريب. وبذلك يصح سند الحديث إنشاء الله، ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٥٥٨ برقم ٣٣٠١٥ كتاب الفضائل، باب ما ذكر في الكف عن أصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلم.

والنَّاظر يجد أنَّ العلماء اختلفوا في حكم من سبّهم: هل يكفر أو يفسق؟

فإلى الأوَّل ذهب جمع من العلماء، منهم: أحمد – في رواية أبي طالب عنه- أبو زرعة الرَّازي، السَّرخسي، ابن حجر الهيتمي، أحمد بن يونس، أبو بكر بن هاني، وغيرهم. انظر: السيف المسلول على من سب الرَّسول (السبكي ، دار الفتح ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٠م) ص٤٢٢-٤٢٤، الصارم المسلول (ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م) ص٥٧٠-٥٧١، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٣، إلقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر (السيوطي، مطبوع بذيل كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب، الآلوسي، ت: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م) ص١٩٩-٢٠٠، الصواعق المحرقة (ابن حجر الهيتمي، مكتبة القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦م) ص٢٥٤، أصول السرخسي ٢/ ١٣٤.

قال السُّبكي: "وقال محمَّد بن يوسف الفريابي وسئل عمَّن شتم أبا بكر، قال: كافر، قيل: نصلِّي عليه، قال: لا.

وقال أحمد في رواية أبي طالب: شتم عثمان زندقة". انظر: السيف المسلول ص٤٢٤.

وقد علَّق السُّبكي على كلام أحمد السَّابق في فتاويه الكبرى بعد أن رأى الحنابلة يوجبون القتل على من سبَّ الصحابة، فقال: " وَعِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ كُفْرَ الشَّاتِمِ بِشَتْمِهِ لِعُثْمَانَ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: زَنْدَقَةٌ؛ لِأَنَّهُ أَظْهَرَهُ وَلَمْ يُبْطِنْهُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ مَا رُوِيَ عَنْهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَعْنِي أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَطُوفُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَيَخْلُو بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَيَسْتَشِيرُهُ فِيمَنْ يَكُونُ خَلِيفَةً حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ فَحِينَئِذٍ تَابَعَهُ.

فَمَعْنَى قَوْلِ أَحْمَدَ أَنَّهُ مَنْ شَتَمَ فَظَاهِرُ قَوْلِهِ شَتْمٌ لِعُثْمَانَ وَبَاطِنُهُ تَخْطِئَةٌ لِجَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَتَخْطِئَتُهُمْ جَمِيعِهِمْ كُفْرٌ فَيَكُونُ زَنْدَقَةً بِهَذَا الِاعْتِبَارِ فَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ شَتْمَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كُفْرٌ، هَذَا لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحْمَدَ أَصْلًا وَلَا نَقْلًا" . انظر: فتاوى الإمام السبكي (السبكي، دار الجيل، بيروت، بلا) ٢/ ٥٧٢.

" وقال أبو يعلي الحنبلي: الذي عليه الفقهاء في سبِّ الصَّحابة إن كان مستحلَّاً لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلَّاً فسق ولم يكفر". انظر: السيف المسلول ص٤٢٤.

وقال الخطيب البغدادي : "أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْهَمَذَانِيُّ ، ثنا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ التُّسْتَرِيَّ ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ ، يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ» . انظر: الكفاية في علم الرواية ص٤٩.

وقال الطحاوي(٣٢١هـ) : ونرى حبهم ديناً وإيماناً وإحساناً، وبغضهم كفراً وشقاقاً وطغياناً" . انظر: شرح الطحاوية (الغنيمي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٢م) ص١٣٦.

وقال ابن حجر الهيتمي: "...ثمَّ الْكَلَام إِنَّمَا هُوَ فِي سبّ بَعضهم أما سبّ جَمِيعهم فَلَا شكّ أَنَّه كفر ، وَكَذَا سبّ وَاحِد مِنْهُم من حَيْثُ هُوَ صَحَابِيّ لِأَنَّهُ استخفاف بالصُّحبة فَيكون اسْتِخْفَافًا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعَلى هَذَا يَنْبَغِي أَن يحمل قَول الطَّحَاوِيّ : بغضهم كفر ، فبغض الصَّحَابَة كلّهم وبُغض بَعضهم من حَيْثُ الصُّحْبَة لَا شكّ أَنَّه كفر" . انظر: الصواعق المحرقة ص٢٥٤.

وإلى القول بفسق من سبَّ الصَّحابة، ذهب جمهور أهل العلم ... قال النَّووي: "وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَرَامٌ مِنْ فَوَاحِشِ الْمُحَرَّمَاتِ ، سَوَاءٌ مَنْ لَابَسَ الْفِتَنَ مِنْهُمْ وَغَيْرُهُ ، لِأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ مُتَأَوِّلُونَ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ فِي أَوَّلِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةَ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ . قَالَ الْقَاضِي : وَسَبُّ أَحَدِهِمْ مِنَ الْمَعَاصِي الْكَبَائِرِ ، وَمَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ يُعَزَّرُ وَلَا يُقْتَلُ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ : يُقْتَلُ". انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٣.

وقال ابن تيمية: "قال الإمام مالك: من شتم النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل، ومن سبَّ أصحابه أدِّب" . انظر: الصارم المسلول ص٥٦٩.

وقال السُّبكي: "أمَّا سائر الصَّحابة فمن سبَّهم جُلد باتِّفاق العلماء ... وأجمع القائلون بعدم تكفير الذين يسبُّون الصَّحابة أنَّهم فسَّاق" . انظر: السيف المسلول ص٤٢٠، ٤٢٤.

وقال القاضي عياض: " مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر أَوْ عُمَرَ ، أَوْ عُثْمَانَ ، أَوْ مُعَاوِيَةَ، أَوْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَإِنْ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ مُشَاتَمَةِ النَّاسِ نُكِّلَ نَكَالًا شَدِيدًا" . انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (القاضي عياض ، ت: محمد امين قره علي ورفاقه، مكتبة الفارابي، دمشق، بلا) ٢/ ٦٥٣ .

وأُتِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِرَجُلٍ سَبَّ عُثْمَانَ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَبَبْتَهُ؟ قَالَ: أَبْغَضْتُهُ. قَالَ: أَبْغَضْتَ رَجُلًا وَسَبَبْتَهُ. قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ثَلَاثِينَ سَوْطًا . أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ٤/ ٨٦ برقم ٢٣٨٣، باب ما روي عن السلف في أجناس العقوبات والحدود التي أوجبوها وأقاموها على من سبّ الصحابة.

"وقال ابن المنذر: لا أعلم أحداً يوجب القتل عن سبّ من بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر: السيف المسلول ص٤٢٢، الصارم المسلول ص٥٦٩.

قال السُّبكي: وهذا الإطلاق في كلام ابن المنذر يشمل عائشة وغيرها، فلينظر فيه، فإن كان الكلامان صحيحين فالجواب أنَّ ذلك لأجل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر: السيف المسلول ص٤٢٢.

قلت: والحكم بفسق وضلال وخذلان من سب الصَّحابة هو أولى القولين بالصَّواب – والله أعلم– اللّهُم إلَّا إذا كان بُغضهم من حيث الصُّحبة فلا شكَّ في كفره ...

قال ابن حجر الهيثمي: "وأمَّا سبّ أو بُغض بعضهم لأمر اخر فليس بكفر حتَّى الشَّيخين رضي الله عنهما" . انظر: الصواعق المحرقة ص٢٥٤.

وقال ابن عابدين: "إنَّ الحكم بالكفر على سابِّ الشَّيخين أو غيرهما من الصَّحابة مطلقاً قول ضعيف لا ينبغي الافتاء به، ولا التَّعويل عليه" . انظر : تنبيه الولاة والحكام لابن عابدين ١/ ٣٦٦، وانظر للاستزادة: الاختيار ٤/ ٢٣٨، إرشاد الساري ٦/ ٩٤، فتاوى السبكي ٢/ ٥٨٠.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

فِهْرِسُ المَوْضُوعَات